﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق: 5 - 7]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

بيانُ السَّبب في حِفْظِ الملائكة أعمالَ النُّفوس وتَسْجيلِها

بعد أن أقسَمَ اللّه سُبْحانَه بالسَّماء والطّارق على أنَّ كلَّ نفسٍ عليها حافظٌ؛ "أتبعَهُ توصيةَ الإنسانِ بالنَّظر في أوَّل أمره ونشأته الأولى، حتَّى يعلَمَ أنَّ مَنْ أنشأه قادرٌ على إعادته وجزائه، فيعمل ليوم الإعادة والجزاء، ولا يُمْلي على حافظه إلّا ما يسرُّه في عاقبته"[1]، ويجوزُ أن يقال في وجهِ المُناسَبة: بعد أن بيَّنت الآيةُ السّابقة أنَّ اللّه تعالى وكَّلَ بكلِّ نفس ملائكةً يحفظون ما لها وما عليها؛ ناسب أن يُبَيِّن في هذه الآيات السَّبب الدّافع إلى تأكيد الحفظ، وعدم التَّقصير فيه، وهو أنَّ هذه النُّفوس ستُحاسب على عَمَلِها بعدَ البَعْث والإرجاع، الذي يُعَدُّ أمرًا سَهْلًا كالخَلْقِ الأوَّل[2].

❁ شَرْحُ المُفرداتِ:

1) ﴿دَافِقٖ﴾: (دفق) أصْلٌ واحِدٌ، وهوَ: دَفْعُ الشَّيْءِ قُدُمًا، مِنْ ذَلِكَ: دَفَقَ الماءُ، وهوَ ماءٌ دافِقٌ، وهَذِهِ دُفْقَةٌ مِنْ ماءٍ، ومعنى: دَفَقْتُ الماء أدْفِقُهُ دَفْقًا؛ أي: صَبَبْتُه، ومعنى: ماءٌ دافِقٌ؛ أي: مَدْفوقٌ، ومعناه المحوريُّ: انْدِفاعُ المُحْتَوى في جوفٍ إلى خارجه بقوَّة، كما قال تعالى: ﴿مَّآءٖ دَافِقٖ﴾ أي: مدفوع بشِدَّة[3].

2) ﴿ٱلصُّلۡبِ﴾: (صلب) أصْلانِ؛ أحَدُهُما: يَدُلُّ عَلى الشِّدَّةِ والقوَّةِ، ومنه الصُّلْبُ، وهوَ الشَّيْءُ الشَّديدُ، وكَذلِكَ سُمّيَ الظَّهْرُ

(1) الزَّمخشري، الكشّاف: 4/ 735.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 376، 377.
(3) الجوهري، تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المُفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (دفق).

صُلْبًا لِقوَّتِهِ وشِدَّتِه، قال تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾، وقوله: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ [النساء: 23] تنبيهٌ على أنَّ الولَدَ جُزْءٌ مِنَ الأبِ[1].

3) ﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾: (ترب) أصْلانِ؛ أحَدُهُما: تَساوي الشَّيْئَيْنِ، فالتِّرْبُ: الخِدْنُ، والجَمْعُ: أتْرابٌ، ومِنْهُ التَّريبُ، وهوَ الصَّدْرُ عِنْدَ تَساوي رُؤوسِ العِظامِ، قال تعالى: ﴿عُرُبًا أَتۡرَابًا ۝٣٧﴾ [الواقعة: 37]، وقال: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابًا ۝٣٣﴾ [النبأ: 33]، وقال أيضا: ﴿۞وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ۝٥٢﴾ [ص: 52]؛ أي: لِدات، تَنْشَأُن معًا، تشبيهًا في التَّساوي والتَّماثل بالتَّرائب التي هي ضُلوع الصَّدر، والتَّرائب: ضُلوع الصَّدر، الواحدة: تَريبَة، قال تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الـذي قَـدِر على الـخَـلْـقِ الأوَّل قادرٌ على البَعْثِ والإرجاعِ

تَدْعو هذه الآياتُ النّاسَ - رجالًا ونساءً - إلى أن ينظروا في الكيفيَّة التي خَلَقَهُم اللّه تعالى بها ويتدبَّروها؛ ليوقِنوا أنَّ الذي قَدِرَ على إيجادهِم أوَّلَ مرَّة قادرٌ على بَعْثِهم وحسابِهم ومُجازاتِهم على ما قَدَّمتْ أيديهم، وأثبَتَه الحفظةُ عليهِم، وذلك ببيانِ أنَّهُم خُلِقوا من ماءٍ يَنْدَفِق مِن أصلابِ الأزواجِ ليَسْتَقِرّ في أرحامِ الأمَّهات، فتتكوَّن منه أجسادُهم، وتتشكَّل منه أنواعُهم، بطريقة سهلةٍ على اللّه تعالى، تتكرَّر مع كُلِّ إنسانٍ وُجِد، ومع كُلِّ مخلوقٍ قَدَّر اللّه تَعالى له الوجود، وأطنَبَ البيان القرآني في وصفِ هذا الماء الدّافق؛ لإدماج التَّعليم والعِبْرَة بدَقائِقِ التَّكوين، ليَسْتَيْقِظ الجاهلُ الكافِر، ويزداد المُؤمنُ علمًا ويقينًا[3].

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المُفردات: (صلب).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المُفردات: (ترب).
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 262.

❁ الإيضاحُ اللّغويّ والبَلاغيُّ:

نوعُ الفاءِ ودلالَتُها في صَدْرِ الآيةِ:

الفاءُ في جُمْلَة: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ لتفريع الأمْرِ بالنَّظر والتَّأمُّل في كيفيَّة الخَلْقِ الأوَّل على ما أُريد مِن قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ مِن لوازم مَعْناهُ؛ وهو: إثباتُ البَعْثِ الذي أنكروهُ عَلى طريقةِ الكِنايةِ التَّلويحيَّةِ الرَّمزيَّةِ، والتَّقدير: فإن رأيتُم البَعْثَ مُحالا فلينظرِ الإنسانُ ممَّ خُلق؛ ليَعْلَمَ أنَّ الخلْقَ الثّانيَ ليس بأبعدَ مِن الخلْقِ الأوَّل، ما يعني: أنَّ هذه الفاءَ مُفيدَةٌ مفادَ الفاءِ الفَصيحَةِ[1]؛ ويجوزُ أن تكونَ الفاءُ للتَّسبُّب والتَّرتُّب والتَّنبيه على أنَّ ما بُيِّن مِن أنَّ كُلَّ نفس عليها حافظٌ يُحصي عليها كُلَّ ما يصدُر عنها من قولٍ وفعل مُستوجِبٌ على الإنسانِ أنْ يتفكَّر في مبدأ فِطْرَتِه حقَّ التَّفكّر، حتّى يتَّضح له أنَّ مَن قَدِرَ على إنشائهِ مِن موادَّ لم تَشُمَّ رائحةَ الحياةِ قطُّ؛ قادرٌ على إعادته بل أقدرُ على قياس العقل، فيعمل ليومِ الإعادة والجزاء ما ينفعُه يومئذٍ ويُجْديه، ولا يُمْلي على حافظه ما يجعلُه مِنَ النّادمين في ذلك اليوم[2].

ما يفعلهُ الإنسان يستوجِب عليه أن يتفكَّر في مبدأ فِطْرَتِه حقَّ التَّفكّر

الغرَضُ مِنَ الأمْرِ بالنَّظر:

قولُه: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أسلوبُ أمرٍ غرضُه توجيهُ الإنسان وإرشادُه إلى أن يتأمَّل ما في خلقه الأوَّل من دلائل الإعجازِ والقُدرة التي تُؤذِن بأنَّ أمرَ إرجاعه إلى الحياة بعد الموت ومُحاسبته على أعماله التي تولَّت الملائكةُ حفظها بأمر الله تعالى عملٌ سهلٌ، لا عناء فيه ولا مشقَّة على مَنْ أوجده الإيجاد الأوَّل، وخَلَقَهُ مِن ماء دافق.

الخلقُ الأوَّلُ دالٌّ على قُدرةِ الله تعالى على البعثِ والإرجاعِ بسهولةٍ

نوعُ اللّام في قوله: ﴿فَلْيَنظُرِ﴾ وفائدَتُها:

اللّام في قوله: ﴿فَلْيَنظُرِ﴾ هي لام الأمر التي تَدْخُلُ على الفِعْلِ المُضارع

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 261.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 141.

بغَرَضِ الإبلاغ في الحثِّ على المأمورِ به، نَظَرًا إلى أهمّيَّته البالغة في الإيمان بقَضيَّة البعث والحساب التي يوغِلُ الكُفّار في إنكارها، وذلك جَرْيًا على عادة البيان العربيِّ في الخروج بالتَّعبير عن معهود لفظهِ إذا خرج عن معهودِ حاله[1]؛ أي: أنَّ العدول عن صيغة الأمر المُعتادة إلى صيغة المُضارعِ المُقْتَرن باللّام فيه دلالةٌ على المُبالغة في الأمْرِ بالنَّظر والتَّفكُّر في الخَلْقِ الأوَّل، وتوجيهٌ إلى التَّشديد في الالتزامِ بهِ.

عـادةُ البيان العربيِّ الخروجُ بالتَّعبير عن معهودِ لفظهِ إذا خرَجَ عَن معهودِ حالِه

دلالَةُ التَّعبير بفِعْلِ النَّظر دونَ غيرِهِ:

أوثِر التَّعبير عن التَّفكُّر بالعقل في كيفيَّة الخَلْقِ والاستدلال بهِ على حَتْميَّة البَعْثِ وثبوتِ الحِساب بفِعْلِ النَّظر، الموضوع للتَّأمُّل بالعَيْنِ والمُشاهدَة بالحاسَّة، فقيل: ﴿فَلْيَنظُرِ﴾ دون (فلْيتأمَّل) أو (فلْيتدبَّر)؛ لِما للنَّظر بالعينِ مِن أثَرٍ كبير في تحريكِ الفِكْرِ، وإعمال العقل؛ إذِ الرُّؤية بالعينِ هي المرحلةُ السّابقة لإعمال العقل، كما أنَّها المُثيرة له كيْ يتدبَّر ويفهمَ فيهتدي، والمعنى: فلْينظُر مُنْكِرو البعْثِ ولْيَتأمَّلوا في خَلْقِهم؛ ليَهْتَدوا إلى سهولة بعثِهم بعدَ الموتِ على اللّه تَعالى الذي خلقَهُم أوَّل مرَّة[2].

النَّظر بالعَيْنِ هو المَرْحَلَةُ المُثيرة للعَقْلِ كي يتدبَّر ويَفْهَم

نوع (أل) ودلالَتُها في المُسْنَدِ إليه:

أُسند الأمرُ بالنَّظر والتَّفكُّر إلى ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ دون غيره مِنَ المخلوقات؛ لاختصاصه دون غيره من المخلوقاتِ المرئيَّة بمزيةِ العَقْلِ، والقُدرةِ على الفَهْم، ولأنَّ منكري البعث من بَيْنِ أفراده، و(أل) فيه لتعريفِ العَهْدِ، والمُرادُ به: الكفّارُ الموغلون في إنكار البَعْثِ؛ ويجوزُ أن تكون لتعريفِ الجِنْسِ، فيشمَل النّاسَ أجمعين، ويدخل فيهم المُنْكِرون دخولًا أوَّليًّا بَدَهيًّا، ووجه التَّعبير بلامِ الجنس: أنْ يرتَدِعَ الكافرون، ويزدادَ إيمانُ المؤمنينَ.

جميعُ النّاس مأمورونَ بالنَّظر في كيفيَّة الخَلق الأوَّل

(1) ابن جني، الخصائص: 3/ 48.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 261.

معنى (مِنْ) في ﴿مِمَّ﴾:

(مِنْ) في قوله: ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ ابتدائيَّةٌ متعلِّقةٌ بـ ﴿خُلِقَ﴾، والمعنى: فليتفكَّرِ الإنسانُ في جواب: ما شيءٌ خُلِقَ منه؟ فقُدِّم المُتعلَّق على عاملِه تبعًا لتقديم ما اتَّصلت به (مِنْ)[1].

بلاغَةُ الاستفهامِ بـ(ما):

التَّنبيهُ والإيقاظُ غرضٌ مُلازمٌ للاستفهام غالبًا

(ما) في قوله: ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ استفهاميَّة عَلَّقت فعلَ النَّظر العقليِّ عن العمل. والاستفهام مُستعملٌ في الإيقاظ والتَّنبيه إلى ما يجب عِلْمُه، كقوله تعالى: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [عبس: 18]، وحُذفت الألفُ من (ما) الاستفهاميَّةِ جريًا على القاعدة التَّعبيريَّة التي تَقْضي بحذْفِها في حالِ الجَرِّ[2].

نوعُ المجازِ وبلاغَتُه في الاستفهام:

التَّنبيه سببٌ في تحريك العقل للاقتناعِ بثبوتِ البَعْث

إذا خرج الاستفهامُ عن المعنى الحقيقيِّ الذي وُضع له؛ وهو طَلَبُ الفهم والمعرفة، كان مجازا مُرسلًا - على الغالب - ؛ إذ استعمل اللَّفْظُ في غير ما وُضِعَ له لعلاقةِ غيرِ المُشابهَة، والعلاقة المُسَوِّغة للمجاز هُنا هي السَّببيَّة؛ إذِ التَّنبيه والإيقاظ سببٌ في تحريك العقل للاقتناع بثبوتِ البعث والحساب، من خلال النَّظر والتَّفكُّر في طريقة الخَلْقِ الأوَّل، ولأنَّ الاستفهامَ غيرُ حقيقيٍّ، ولأنَّ اللّه تَعالى لا يريد مِنَ المُتَلَقّي الإجابةَ عنه، فقد أجاب الحقُّ سُبحانه عن ذلك بقوله: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾[3].

وَجْهُ التَّعبير بفعل الخَلْقِ مادَّة وصيغة:

التَّفكُّر في الخلق الأوَّلِ يهدي الإنسانَ إلى سهولةِ البَعْثِ والحساب على الله تعالى

عبَّر البيانُ القرآنيُّ عن المُستفهَم عنه بفِعْلِ الخَلْقِ، الدّالِّ على إبداع الشَّيء من غير أصلٍ ولا احْتِذاء[4] في قوله: ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾؛ ليَلْفِتَ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 261.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 261.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 261.
(4) الرّاغب، المُفردات: (خلق).

الانتباهَ إلى ما في خَلْقِ الإنسان من إعجازٍ ودلائلَ على قُدرةِ مَنْ فعَلَهُ على البعث والإرجاع بَداهةً، فمن المُسلَّمات أنَّ مَن قَدِرَ على الإنشاء من غير أصلٍ يُحتذى قادرٌ على البعث الذي يُعدُّ سهلًا ميسورًا بالنِّسبة إلى الخَلْقِ الأوَّل، وجيء بفعل الخلقِ مبنيًّا للمفعول؛ للإعلام بأنَّ القَصْدَ من التَّعبير هو: النَّظر في أمرِ الخَلْقِ الأوَّل وكيفيَّة حصوله؛ إذ هو المُرْشِد والهادي إلى إدراك سُهولَةِ البَعْث وثبوتِهِ، وتنبيهًا على تعظيم الفاعِل؛ بأنَّ العِلْمَ به غيرُ مُحتاجٍ إلى ذِكْرِه باللَّفظ؛ لأنَّه لا يَقْدِر على صَنْعَةٍ من صنائِعِه غيرُه سُبحانه[1].

علَّة فصْلِ جُمْلَةِ: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾:

جاءت جُملة: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ مفصولةً عمّا قبلها؛ لشِبْهِ كمال الاتِّصال، الذي تجيب فيه الجملة المفصولةُ عَن سؤال أثارَتْهُ الجُملةُ السّابقةُ في نفس المُتَلقّي، فكأنَّه قيل: مِمَّ خُلِقَ؟ فقيل: خُلق من ماءٍ ذي دَفْقٍ[2].

سِرُّ إجابة الحقِّ سُبحانَهُ عن السُّؤال بنفسِه:

إجابة الحقِّ سُبحانه عن السُّؤال بنفسِه في قوله: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ دالٌّ على أنَّ الإنسانَ لن يستطيعَ بمُفْرَدِه التَّوصُّلَ إلى الإجابة عنه؛ لقُصور عقلِه، ولأنَّه - مع كونه ضَعيفًا عاجزًا - لا يَنْفَكُّ عن شاغلٍ ومُفترٍ، فلا يكاد يصحُّ له نظَرٌ.

عـقـلُ الإنـسـان قـاصـرٌ عـن الـوصـول إلى إجـابـةِ الـسُّـؤال عن أصل الخَلْقِ

وجهُ إعادَةِ التَّعبير بفِعْلِ الخَلْقِ:

أُعيد التَّعبيرُ بفعل الخَلْقِ مبنيًّا للمفعول مع قُرْبِ العَهْدِ به وإمكان الاستغناءِ عنه، جريًا على عادةِ البيانِ العربيِّ في حَذْفِ المُستَفهَم عنه عند إجابة السُّؤال، بأن يُقال: (من ماء دافق)، إلّا أنَّ ذلك لم يحصُل للتَّأكيد على ما في ذلك الفعلِ الذي أَلِفَهُ النّاس واعتادوهُ

في الخَلْقِ الأوَّلِ كثيرٌ من دلائلِ القُدرةِ والإعجازِ

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 377.

(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 141، والآلوسي: روح المعاني: 15/ 308.

مِن إعجازٍ ودلائلَ عَلى قُدرة اللّه تَعالى، وللإشارة إلى سُهولَتِه عليه سُبْحانَه، وتأكيدًا لقُدرتِه على البعْثِ بسُهولة، مِثْلَما قَدِر على تكرار الخلْقِ بسُهولَةٍ، والمعنى: خَلَق اللّه تَعالى الإنسانَ على أيْسَرِ وجهٍ وأسْهَلِه، بعدَ خَلْقِ أبيه آدمَ ﷺ من تراب، وأمِّه حوّاءَ ﷺ مِن ضِلَعِه[1].

معنى ﴿مِن﴾ ودلالتُها:

بيانُ سَبَبِ ذلك الخَلْقِ المُعْجِز

﴿مِن﴾ في قولِه: ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ هي البيانيَّةُ المُؤكِّدةُ خَلْقَ الإنسان بنَوْعَيْهِ ومُختَلَف طبائعه وأشكاله مِن ذلك الماء الذي يَنْدَفِق مِن ذكور الرِّجال إلى أرحام النِّساء بطريقة سهلةٍ مُعْتادَةٍ، يَقْضي بها الطَّرفان وطرَهما، ويَحْدُث منها هذا الخلقُ المُعجِز.

دلالة التَّعبير بـ ﴿مَّآءٍ﴾ مادَّة وصيغَةً:

الماءُ الذي يحدُثُ بسببِه الخَلْقُ ذو طبيعةٍ خاصَّة وسماتٍ مُختلفَةٍ

أوثر التَّعبيرُ عن نُطْفَة الرَّجل بـ ﴿مَّآءٍ﴾؛ لِما فيها من خواصِّه وهي: السُّيولَةُ والتَّدفُّق، وجيء به نَكِرةً؛ لِما يُفيدُهُ التَّنكيرُ من الدَّلالة على أنَّها ليست كالماء المُعْتاد، ولكنَّها ماءٌ ذو طبيعَةٍ خاصَّة وسمات مُختلفة، لم يَتَمَكَّن النّاسُ مِن معرِفَتِها والإحاطة بها، "ذلك أنَّ النُّطفة التي خُلِقَ منها الإنسانُ لو رُئِيَت موضوعَةً على طبَقٍ، ثُمَّ رام أحَدٌ أن يَعْرِف ويَنْتَزِع منها المعنى الذي به صَلُحَ أن يُنشأ منها العلقَة والمُضغة وخُلِقَ منها الإنسانُ؛ لَم يُدْرَك، ولو اجتمع الإنسُ والجنُّ على أن يُرَكِّبوا عليها جارحةً مِن جوارح الإنسانِ؛ لَم يتَهَيَّأ لهم تركيبُها، أو تعرُّف المعنى الذي صلح أن ينشأ منه السَّمع والبصر؛ لم يوقَفوا عليه؛ فتَبَيَّن أنَّ الذي بلغَت قُدْرَتُه هذا لا يخفى عليه أمرٌ، ولا يعجِزُه شيءٌ، وتبيّن لهم حِكْمَتُه"[2]، وهذا يعني: أنَّ الغَرَضَ من التَّنكير هو التَّعظيم والإشارة إلى اختلاف الماء الذي يُخلق منه الإنسانُ عن الماء المُعتاد، والذي تَنْصَرِف العقولُ إليه عندَ التَّعبيرِ به. ويجوزُ أن

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 377.
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السُّنة: 10/ 493.

يكون الغرَضُ مِنَ التَّنكير هو التَّحقيرَ؛ استئناسًا بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠﴾ [المرسلات: 20].

دلالةُ التَّعبير بـ ﴿دَافِقٍ﴾ مادَّةً وصيغَةً:

أوثِر وصفُ ﴿مَّآءٍ﴾ بـ ﴿دَافِقٍ﴾ زيادةً في إيضاحه وبيانه، وللدَّلالة على تمَيُّزِه، ببيانِ أنَّه يخرُج بقوَّة وسُرْعَةٍ على الرُّغم مِن قلَّة كمّيَّته إذا قورِنت بكَمّيّات الماء المُنْدَفِق التي يعهدُها النّاس ويَعْرِفونَها، والمعنى: مِن ماءٍ سائلٍ جارٍ، لا تماسُكَ بينَ أجزائه[1]، وجيء به اسْمًا مُشتَقًّا للدَّلالة على ثُبوتِ صِفَةِ الدَّفْق له ودوامها، ما يعني: أنَّه يَخْرُج من صُلْبِ الرَّجل على هذه الصِّفة دائمًا، وجيءَ بِهِ مُفْرَدا فقال: ﴿مِن مَّآءٍ﴾، ولم يقل: (ماءين)؛ للإشارة إلى أنَّهما يجتمعان في الرَّحِم ويمتزجان أشدَّ امتزاجٍ بحيثُ يَصيرانِ ماءً واحدًا[2].

النُّطفة تخرُج بسُرْعَةٍ على الرُّغم مِن قلَّةِ كَمّيَّتها إذا قورِنت بغَيْرِها

نوعُ المَجاز وبلاغتُه في الوَصْفِ:

في إسناد صفة الدَّفق إلى ضمير الماء مجازٌ عقليٌّ، علاقتُه المفعوليَّة؛ إذِ الحقيقة العقليَّة تقضي بأن يكون الدَّفق من الإنسان أو صفةً للإنسان، وليس صفَةً للماء؛ لأنَّ الماءَ في الحقيقةِ مَدْفوقٌ، وليسَ دافِقًا، ولو قيل: (خُلِقَ من ماء مدفوق) لكان ذلك مجرَّد تعبيرِ وضْعِ الرَّجُل نُطفتَه في رَحِم امْرَأتِه، أمّا ما جاء عليه التَّعبير القرآنيُّ؛ ففيه تصوير لقوَّة دفق الماء وسُرعةِ خُروجه من الرَّجل، وكأنَّه يَدْفَقُ بنَفْسِه[3].

قـوَّة انـدفـاع النُّطفة تَجْعَلُها كـأنَّـها تَـدْفَـقُ بنَفْسِها

موقِعُ جُمْلَةِ: ﴿يَخْرُجُ﴾، ووجهُ التَّعبير بها:

قولُه تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ جُملةٌ في محلِّ جَرٍّ صفةٌ لـ ﴿مَّآءٍ﴾، أو في مَحَلِّ نصبٍ حالٌ منه؛ أطنَبَ بها النَّظْمُ الكريم

لا يَتفطَّنُ النّاسُ لمَخْرَج النُّطفة ولا يعرفون مكانَها

(1) الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 16/ 1523، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 262.
(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 378.
(3) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 377، 378.

في بيانِ هذا الماءِ الدّافق؛ لأنَّ النّاس لا يتفطَّنون لمَخْرَجِ هذا الماءِ ومَكانه، ولإدماجِ التَّعليم والعِبْرةِ بدَقائقِ التَّكوين؛ ليَسْتَيْقِظَ الجاهِلُ الكافِرُ، ويَزْدادَ المُؤمن عِلْمًا ويقينا[1].

وجهُ التَّعبير بفِعْلِ الخُروج:

عبَّر النَّظم الكريم عن انتقالِ النُّطفة من صُلب الرَّجُل إلى رَحِم المرأةِ بفِعْلِ الخُروج المُسْنَد إلى ضميرِ الماء فقال: ﴿يَخْرُجُ﴾؛ للإشارة إلى أنَّ هذا الماء قَد خرَجَ خُروجًا طبيعيًّا، بعد أن استوى ونضَجَ في صُلْبِ الرَّجل، وأنَّه لم يُنْتَزَع انتزاعا من مَوْضِعه قبل أن ينضُج ويَسْتَوِيَ[2]، وللإشارةِ إلى أنَّ أصل تكوُّن ذلك الماء وتَنَقُّله من بَيْنِ الصُّلب والتَّرائب، وليس المعنى: أنَّه يمرُّ بَيْنَ الصُّلب والتَّرائب؛ إذْ لا يُتَصَوَّر مَمَرٌّ بينهما؛ لأنَّ الذي بينهما هو ما يحويه باطنُ الصَّدر والضُّلوع من قَلْبٍ ورِئَتَيْن[3].

لا تخرجُ النُّطفة مِن صُلْبِ الرَّجل إلّا بعدَ الاسْتِواءِ والنُّضْجِ

والسِّرُّ في ذِكْر المَخْرَج وتحديدِه: إقامةُ الدَّليل على أنَّ الذي أخرجَهُ من ظُروفِ عِظام الصُّلب والتَّرائب، إلى أن صيَّره في محلِّه من الأُنْثَيَيْن إلى أنْ دَفَق، واعْتَنى بعدَ ذلك بنَقْلِه من خَلْقٍ إلى خَلْق، بعد كُلِّ أربعين يومًا، إلى أنْ صيَّره إنسانًا، يَعْقِلُ ويتكلَّم، ويبني القصور، ويهدِم الصُّخور، قادرٌ على بَعْثِه وإرجاعِه[4].

مَنْ قَدِرَ على إخراجِ النُّطفة ورعايتها حتَّى صارت إنسانًا قادر على بعثه وإرجاعه

بلاغَةُ التَّعبير عن الخُروج بصيغَةِ المُضارِع:

عبَّر النَّظم بفعل الخروج مُضارعًا للإشارة إلى تَجدُّد خروج الماء من ذات المكان وتكرُّره، ولاستحضار الصّورة المُتَجَدَّدة عنها كأنَّها ماثلَةٌ حاضرَةٌ، تَبْدو من خلالِها قُدْرَةُ الله تعالى على تحويلِ هذا الماءِ الخارِجِ على الحالِ المَوْصوفَةِ إلى إنسانٍ يَرى ويَسْمَع ويتكلَّم،

استحضار صورة الخَلْقِ مِن الماء الدّافق تؤكّد اليقين في قُدرة الله تعالى على البَعْث

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 262.
(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 11/ 1523.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 262.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 379.

ويَبْني ويَهْدِم، ويُنْشِئُ ويَخْتَرِع، ويتناكح ويتكاثَر، ما يجعل المُتَلَقّي موقِنًا بقُدرة الله تعالى على إعادته وإرجاعه بَعْدَ الموت، فيعمَل لأجل ذلك الأعمال التي تَجْعَلُه سعيدا مسرورًا، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ [الانشقاق: 7 - 9].

معنى ﴿مِنۢ﴾ ودلالتُها:

بيانُ ابتداءِ خَلْقِ الإنسانِ على حالٍ عَجيبَةٍ

﴿مِنۢ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ هي الابْتِدائيَّة الدّالَّة على أنَّ المكانَ الذي يَبْتَدِئ منه خروجُ الماء الذي يَخْلُق الله تعالى منه الإنسانَ على الحالِ العجيبة التي هو عليها واقعٌ بَيْنَ الصُّلب والتَّرائب؛ "ولو نُزِعَ الخافِضُ؛ لأفْهَمَ أنَّ الماء يَمْلَأُ البَيْنَ المَذْكور ولَم يُفهم أنَّه يخرج عن صاحبَي البَيْنِ"[1].

فائدَةُ التَّعبير بالظَّرف ﴿بَيْنِ﴾:

مَنْ تحقَّق عندَه العِلْمُ؛ تحقَّقتْ لديه القُدرةُ

قوله: ﴿بَيْنِ﴾ ظرفٌ مجرورٌ بحرفِ الابتداءِ، وأوثِرَ التَّعبير به لبيان عِلْمِ الله تَعالى الدَّقيق بمَخْرَج الماء، وإحاطته البالغَة بمَصْدَرِه ومَوْرِده، وأنَّه بَيْنَ الصُّلب والتَّرائب وليس مِن مكانٍ آخرَ في جِسْمِ الإنسان، وفائدةُ ذلك أنْ يتحَقَّق لدى المُتَلَقّي اليقينُ الكاملُ في قدرةِ الله تَعالى على الإرجاع؛ لأنَّ مَن عَلِمَ مكانَ خُروج الماء وأحاط به بدِقَّةٍ، وأخْبَرَ الإنسانَ بما لا يعلمُهُ عَن نفسِه؛ كان قادِرًا على البَعْثِ والإرجاع مِن غير شكٍّ أو رَيْبٍ.

سِرُّ عطْفِ ﴿ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ بالواو:

أعضاءُ الرَّجُل والمرأة وقواهُما تتعاونُ كلُّها في تكوين ما هو مَبْدأٌ لتَوالُد الإنسان

﴿ٱلصُّلْبِ﴾ هو العمود العَظْميُّ الكائنُ في وسَطِ الظَّهر؛ وهو ذو الفقَرات، و(التَّرائب) جمعُ تَريبَة، ويُقال: تَريبٌ؛ وهي: عظامُ الصَّدر التي بين التَّرْقوَتَيْن والثَّدْيَين، وهو: موضعُ القلادةِ مِنَ المَرأة، وفي عَطْفِهما بالواو التي تُفيد المُشاركةَ دلالةٌ على أنَّ النَّسل يتكوَّن

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 21/ 378.

مِنْهُما معًا، وأنَّهما يشتَرِكان في تكوينه، حيثُ يمرُّ الماءُ المُنْدَفِق من صلب الرَّجل إلى رحِم المرأة، فيختَلِطُ بمائِها المُتَفَجِّر من تَرائِبِها، فيُسْهِمانِ مَعًا في تَخْليقِه وتكوينه[1]، أو أنَّ هذا الماءَ الدّافق يخرُج من بَيْنِ صُلْب كلٍّ واحِدٍ منهُما وتَرائِبِه؛ أي: أنَّ أعضاء كلٍّ منهما وقواه تتعاوَنُ في تكوين ما هو مبدَأٌ لتَوالُد الإنسان: ماء الرَّجل وهو المنيُّ، وماء المرأة وهي البوَيْضَةُ المَصْحوبَةُ بالسّائل، المُنصبّان بدفْعٍ وسَيَلانٍ سريعٍ إلى الرَّحم عند الجِماعِ[2].

❁ الفُروقُ المعجميّة:

الدّافِق والمَصْبوب:

الدَّفْقُ هو: دَفْعُ الشَّيْءِ قُدُمًا، ومعنى: دَفَقْتُ الماءَ أدْفِقُهُ دَفْقًا؛ أي: صَبَبْتُه، وماءٌ دافِقٌ؛ أي: مدفوع بشدَّة، أمّا صَبُّ الماء فهو: إراقتُه من أعلى، قال تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥﴾ [عبس: 25]، وقال كذلك: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩﴾ [الحج: 19][3]. ولمّا كان الحديثُ عَن الماء الذي يَحْدُثُ منهُ خَلْقُ الإنسان، وكان هذا الماء قويَّ الاندفاع شديدَ السُّرعة على الرُّغم من قِلَّته، وحتَّى لو لم يكُن الرَّجُل في أثناء دَفْقِه مُسْتَعْليًا؛ ناسَب التَّعبير بالاسم المُشتَقِّ من مادَّة الدَّفق، للإشارة إلى أنَّ من خواصِّ هذا الماء وسِماته أنَّه يَنْدَفِقُ من نَفْسِه نظَرًا إلى سُرْعَتِه الفائِقَة، ولو قيل: (من ماء مصبوب)؛ لَما أفادَ ذلك المعنى، ولكان مُجرّدَ إخبارٍ بأنَّه ماءٌ صُبَّ من مكان مرتفع، ولو فُقِدَ الارتفاعُ لفَقَدَ الماءُ سرعتَه، ولرُبَّما لم يَتَحَرّك من مكانه أصلًا، وهذا مُخالفٌ لِما عليه الماءُ الخارجُ من بَيْنِ الصُّلب والتَّرائب.

السُّرعةُ والاندفاعُ من خواصِّ المَنيِّ حتّى ولو لم يكُن الرَّجلُ مُستعليًا

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 30/ 262 وما بعدها.
(2) طنطاوي، التَّفسير الوسيط: 15/ 355.
(3) الرّاغب، المُفردات: (دفق).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66 : المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-45-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"